العلامة سليم البخاري

لبست دمشق في العام المنصرم لباس الحداد لفقد عظيم دعاة الاصلاح والتجدد ، الثبت الحجة الاستاذ سليم افندي البخاري شهرةً ، الآمدي محتداً . فقد لبى دعوة ربه الى الدار الآخرة في اليوم العاشر من جمادي الاولى سنة ١٣٤٧ هـ والرابع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ م عن عمر بلغ زهاء ثمانين سنة لانه ولد في دمشق غرة سنة ١٢٦٨ هـ كما وجد ذلك بخط يده . وقد شيعت جنازته بمحفل عظيم امتاز بهيبة السنة خلوه من البدع اذ ساد به الصمت بدون نداء المؤذنين فرادى او مجتمعين عملاً بوصيته ودفن في مقبرة الدحداح ، نور الله ضريحه .

حياته العلمية = بعد ان نشأ وتخرج من المدارس التحضيرية ، تولى شؤون تثقيفه وتربيته العلمية خال والدته الشيخ محمد البرهاني من فقهاء دمشق الاحناف ، وعهد الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيخ عمر حفيد الشهاب العطار بتعليمه علوم اللغة العربية من صرف ونحو ومعانٍ وبيان وبديع ووضع ، والعلوم العقليـة من منطق وحكمة وجدل ٠ ولم يقتصر عليهما ، بل لزم ايضاً غيرهما من العلماء الاعلام أضراب منلا طه الكردي وأستاذي شيخ العلم في دمشق ابي بكر (بكري) العطار ، والشيخ محمد الاماسي الشهير بابن الجوخدار ، ومفتي المذهب المالكي بدمشق الشيخ محمد صالح الجزائري والد أستاذنا العلامة البحاثة الشيخ طاهر الشهير ، والعلامة الفقيه الشيخ عبد الغني الغنيمي الشهير بالميداني شارح كتاب القدوري ، فتلقى منهم ماتلقى من العلوم العربية والعقلية واصول الفقه والكلام والتفسير ٠ ثم اخذ الحديث الشريف رواية ودراية عن الشيخ سليم العطار ٠ وحظي ايضاً بمجالس فقيـه الديار الشامية السيد محمد الحمزاوي الحسيني مفتي دمشق الاسبق ، وأجازه بمايرويه عن أشياخه أرباب الاسانيد المسلسلة الرواية ، ولا سيما اعلامهم سنداً محدث الديار الشـامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ٠

وحينما أدى حجة الاسلام مكث مجاوراً بمكة المكرمة ستة اشهر تلقى في غضونها الربع المجيب ومتن الشمسية في المنطق من صاحب إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندي ، وسمع احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي من السيد احمد الدهان من علماء أم القرى وساداتها ٠ ولزم دروس صاحب المؤلفات الكثيرة السيد زيني دحلان مفتي مكة المكرمة ٠

تقلد وظيفة مفتي كتيبة المدفعية (مفتي آلاي) في الفيلق الخامس من فيالق الدولة العثمانية وهو فيلق قطر الشـام وذلك على حداثة سنه فأحرز قصب السبق في الاستانة على من باروه في حلبة سباق الامتحان لغزارة علمه وقوة عارضته مع إجادته التكلم والكتابة باللغة التركية ومعرفته قليلاً من اللغة الفارسية ، وكانت وظيفته هذه من اعظم البواعث على تعارفه الى أغلب علماء الشام لكونه ظل زهاء ربع قرن يفحص طلبة العلوم الدينيـة المخصوصين من عموم المكلفين بالتجند الاجباري ٠ فكثر عارفوه وذاعت شهرته العلميـة في أنحاء القطر وسرت منه الى بعض الاقطار الاسلامية ولا سيما الاقطار المجـاورة ٠ وقد لقي كثيراً من رجالات العلم في الامصار ممن كانوا يمرون بدمشق لحج البيت الحرام او الذين يلقاهم اتفاقاً في بلادهم او في الحرمين الشريفين او في القسطنطينية ، وجرت بينه وبينهم مناظرات علمية عرفوا بهـا غزارة علمه ، وأعجبوا به كما عرف هو غزارة علم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حكيم الاسلام أستاذنا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وأعجب بنبوغه حينما لقيه اولاً في بيروت وثانياً في دمشق .

وكان في ايام فتوته وكهولته يعلم الطلبة العلوم النقلية والعقلية ، واخيراً اخذ يمعن في كتب الآداب العربية وأسرارها وكتب التاريخ والطبقات والملل والنحل ، وأسفار الشريعة الاسلامية ولاسيما الامهات السلفية ، وقد اطلع على كثير من نفائس الكتب المخطوطة التي كانت كنزاً دفيناً فحاول هو وصديقه الشيخ طاهر الجزائري ابرازها الى عالم الطباعة والنشر خصوصاً كتب محي السنة الامام ابن تيمية ووارث علومه ابن القيم .

وكان من دأبه الاطلاع على المؤلفات الحديثة في علوم الاجتماع والعمران والسياسة والحكمة النظرية والعلوم الكونية المترجمة عن الغرب ، وعلى الصحف السيارة والمجلات الدينية والعلمية . واذا عثر على كتاب بلائم ذوقه لا يذره حتى يطلع عليه بامعان من فاتحته الى خاتمته . وله من المؤلفات رسالة في آداب البحث والمناظرة . ورسالة في عقائد الطائفة الدرزية . وله ايضاً تعليقات ومقالات في موضوعات شتى حفلت بها حواشي الكتب التي طالعها في حياته فدل فيها على تمكن من أسرار الادب والشريعة . وفي الحق ان ما كتبه من هذه الرسائل الصغيرة لا يوازي مجال علمه الواسع والذي عاقه عن المضي في التأليف ان احد مشايخه قد كسر همته لما اطلعه على رسالة كتبها وهو في سن الطلب فهزأ به وبعمله حتى غضب مترجمنا واحرق ما كتب فجمد قلمه منذ ذاك العهد ولم يعد الى التدوين الا في الندر . ولم يعرف عنه انه نظ الشعر ولكن انشاءه كان انشاء العلماء لا عيب فيه من حيث البلاغة والفصاحة .

وقد نسخ بخطه الجميل بعض الكتب القيمة ، وخدم المعارف خدمة تذكر فتشكر حينما كان من اعضاء الجمعية الخيرية برياسة السيد علاء الدين بن العلامة السيد محمد امين عابدين . وقد تألفت هذه الجمعية المباركة في عهد والي الشام مدحت باشا الوزير العثماني الشهير قبل إحداث مديرية المعارف في ربوعنا على النسق الحديث .

سجاياه وأخلاقه — كان — رحمه الله — على جانب عظيم من الذكاء الفطري وسرعة الخاطر ، وقوة الحافظة ، سليم الصدر لا يضمر السوء أو الغش لاحد ، عصبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المزاج ، جميل المحيا ، رقيق الشمائل ، حسن المعاشرة ، يحب النظافة والاتقان والترتيب ، ويرغب في وضع الاشياء في مواضعها . وكان مهيباً وقوراً بهي الطلعة ، جامعاً بين أناة الشيوخ وهمة الشبان ، ماضي العزيمة ، صبوراً على المصائب ، مقداماً على عظائم الاعمال ، شديد الغيرة على الوطن واهله ، صلباً بدينه ومبادئه القويمة ، يكره التنطع في الدين والتعصب الممقوت ، كثير التواضع مع إباء النفس ، فلا يتزلف ولا يحابي ، ولا يتمجد بالمجد الكاذب والفخفخة الفارغة ، فلم يتذرع بالحصول على الأوسمة الخلابة والرتب الكذابة بل كان يهزأ بها . وكان خضاعاً للحق صداعاً به ، فاذا ثبت عنده ان هذا الشيء حق يخضع له بدون مكابرة ولا مماراة ، وان هذا باطل يجاهر بمناوأته بدون تقية ولو توقع الخطر ، وله مواقف عجيبة مع اولياء الامور في كل دور من أدوار الحكومات المتعاقبة .

اتحد رأيه السياسي مع رأي فتيان الترك الأحرار (تركيا الفتاة) ، فانتظم في سلك جمعياتهم السرية ، وظل زهاء ثلاثين سنة يجاهد في هذه السبيل معرضاً بنفسه لبطش القصر الحميدي ، غير مبالٍ سعاية الجواسيس المنتشرين في طول البلاد وعرضها ، فلم تقصف له الوشاية قناة ، ولم ينل توقع البطش من عزيمته صفاة ، بل ثبت ثبات الابطال في معترك النزال ، حتى أعلن القانون الاساسي العثماني سنة ١٩٠٨ م اعلاناً ثانياً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

ولما رأى طيش سهام الاتحاديين غلب عليه التشاؤم من سوء المغبة ، وانسحب من جمعيتهم . لزم الحياد . ثم اضطر بسائق الحرص على سلامة الدولة الى خرق حياده والمجاهرة بمعارضتهم ، والانتظام في حزب الحرية والائتلاف ، وانتخب رئيساً لشعبته في دمشق ، ولم يروعه ما حاق بزعماء حزب الائتلاف من المطاردة والتنكيل عقب انتصار الاتحاديين على خصومهم بالانتخاب النيابي الذي ربحوه بارهاب الضعفاء وخيانة اكابر المجرمين .

ثم كان في طليعة المنادين بالإصلاح والمطالبة العادلة بحقوق العرب المهضومة بعد ان بثس أحرار العرب من حكومتي الائتلاف والاتحاد لضعف الائتلافيين وسوء نية الاتحاديين نحو الشعوب العثمانية التي ليست تركية ولا سيما الشعب العربي الذي طفق يشعر بقوميته العربية ويتغنى بمجدها السالف . فاشتد حنق أساطين جمعية الاتحاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والترقي على هذا الشيخ الجريء المقدام واخذوا يتربصون به وباخوانه الدوائر حتى سنحت الفرصة باعلان الحرب العالمية الكبرى وانحياز الدولة العثمانية الى دول اوربا الوسطى .

لا جرم انه كان في العهد الحميدي من دعاة الاصلاح الديني علانيـة ومن طلاب الاصلاح السياسي سراً ، فاستهدف نفسه بآن واحد لضغينة أعداء التجـدد من رجال الدين ، وقذف اتبـاعهم الدجالين وسعايتهم باسم الدين والسياسة ، وعرضهـا ايضاً لخطر البطش السياسي . ولئن نجا من بطش القصر الحميدي فلم يكن ليخلص من الإحراج والاضطهاد ومساورة القلق حينما يشتد تحري المنازل ونبش المكتبات والتفتيش عن الأوراق السياسية بوشاية من كانوا ينسجون السعاية من لحمة الدين وسدى السياسة . وكان كلما حدث دعوة جديدة او صدر كتاب يدعو الى التجدد يُستدعى من قبل اولياء الامور الاستاذان الجليلان اللذان كأنهما رضيعا لبان الشيخ طاهر الجزائري والشيخ سليم البخاري . وكان كل منهما ينهج في مناقشته مع الولاة والقواد منهجاً يباين منهج الآخر مع اتحادهما بالاخلاص وقوة العزائم . فان أستاذنا الجزائري كان لشدة دهائه تتغلب ضابطته اللسانية على عاطفته القلبية ، فكان يسدد ويقارب ، و يضطر بعض الأحيان الى مغالطة اولياء الامور باسلوب الحكيم . اما أستاذنا البخاري فكان لشدة صفائه تتغلب عاطفته على ضابطته ، فيعرب بصريح العبارة عن فكرته في غضون مناقشته مع رئيسه القائد العسكري الكبير سواء أكان حائزاً رتبة فريق ام مشير . وموظف لا يملك من موارد الرزق سوى وظيفته يناقش رئيسه الاكبر بدون مبالاة يجب ان يقدر ثباته ومفاداته في سبيل مبادئه . واصح ما يقـال بوصف ذينك الشيخين المخلصين الجزائري والبخاري ان الاول قد قبضه الدهاء ، وان الثاني قد بسطه الصفاء . وكلاهما لقيا في سبيل دعوتهما ضروب العناء . وكانا تمثال الثبات ومثال المضاء . لكن الاول نجا من بطش الاتحاديين . ووقع الثاني في شرك الإنتقام اذ سجنه جمال باشا السفاك شهرين في دائرة الشرطة ، ثم ساقه الى مجزر فتيان عرب الشام الأحرار محكمة عالية العرفية اسماً ، فلاقى الأهوال في محنته ، وذاق في سجنه وتغربه آلام الامراض ، وا كتظت عليه ضروب الخطوب ، وحاقت به أنواع المصائب من كل جانب . فقد اتصل به وهو سجين ان ولده الذي كان يقود احدى الفرق العثمانية وقع اسيراً في قبضة الجيش الروسي ولم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يوقف له على خبر ، وان ولده الضابط الصغير سيق الى بادية الحجاز .

وبينا هو كذلك قبضت الحكومة على ولده الفار من خدمة الجيش المقصورة الضارب اكباد الإبل في بادية الشام ، وجيء به مكبلاً بالحديد ، ولم يكد يصبح الوالد حتى قرع سمعه ان ابنه صار مثله سجيناً في عالية ، واخيراً سل من جنبه الشاب البار الشهيد محمود جلال الى المشنقة .

وامر هذا الطاغية الاثيم بتغريب المترجم له وعائلته الى أقصى الاناضول الغربي على سبيل نقل المكان الى الأبد أسوة بأسر الشهداء والذين خرجوا من سجون عالية احياء وغيرهم . واستدعاه من السجن المرة الثالثة ليسبر خضوعه للحكومة الاتحادية بعد إرهابه بالتنكيل به وقتل ابنه ، وأخبره انه يريد ان يعافيه من مشقة النفي رحمةً بشيخوخته على شرط ان يكف لسانه من الآن وصاعداً عن القدح بالحكومة ، فما كان منه الا ان طعنه بلسان التورية طعنةً أثرت في صميم فؤاده ، فغضب ، وعدل عن اعفائه من التغريب ، وأنذره باعادة التنكيل فيما اذا ظل مثابراً على خطته التي تغضب الحكومة ، فصدر عن مجلسه الرهيب ولسان حاله يقول (اقضِ ما أنت قاض) . وآثر عذاب الجثمان بوعثاء السفر ، وأسر التغريب على تعذيب الضمير بالمصانعة والتزلف .

شاء الاستاذ عقب إعلان القانون الاساسي ان يتقاعد عن اعمال وظيفته فطلب إحالته على راتب التقاعد فأجيب طلبه ولزم داره ، وعكف على مطالعة كتبه ومزاولة درسه وبحثه . لكن احد ولاة سورية اسماعيل فاضل باشا أراد ان يخرجه من عزلته وأراده بالحاح ان يكون عضواً في مجلس الاوقاف . وبعد اخذ ورد وشرط شروط قبل وتذرع بمشاريع نافعة حال دون إتمامها عزل الوالي الموما اليه . وكانت الحكومة تعينه من حين الى آخر في اللجنات الحكومية المختلفة . وقد شغرت في ذاك العهد وظيفة فتيا دمشق ثلاث مرات ، فرغب عنها . ثم عين في العهد الفيصلي عضواً في مجلس الشورى ، وقد تذرع بفرض الرواتب الشهرية لبعض العلماء المعوزين المنزوين الذين لا يعرفهم الا العلماء . وحينما أحدث المجمع العلمي العربي في ذلك العهد انتخب في عداد اعضائه . ثم عين عضواً في مجلس المعارف الكبير . وأخيراً أسندت اليه رياسة العلماء في دولة دمشق ، فقام على شيخوخته باعباء وظيفته احسن قيام ، فأعاد الى المسلك الديني هيبته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الجملة بعد ان شوهته الفوضى ، وأهانه اختلاط الدخيل بالعريق ، وشرع يقرب به من النظام شيئاً فشيئاً لعلمه باستحالة الطفرة . واحدث لدائرة الرياسة أوضاعاً تقربها من مضاهاة دائرة مشيخة الاسلام العثمانية ، بل تفوقها بادخال التجدد بالتوفيق بين روح الدين ومقتضيات العصر النافعة ، فألف لهذا الغرض وغيره مجلساً برياسته مؤلفاً من مفتي المذاهب الاربعة في دمشق وامين الفتوى وغيرهم من خيرة العلماء المجددين والمحافظين وسماه مجلس الشورى الشرعية ، وأفرز منه لجنة للنظر بالفتاوى التي ترد من جميع مفتي الملحقات على ديوان الرياسة تدعى لجنة تدقيق الفتاوى لانه اوعز الى جميع متقلدي وظيفة الفتيا ان يبعثوا اليه آخر كل شهر بجدول الفتاوى طبق الجدول الذي رسمه ديوان الرياسة . وكان يطرح على مجلس الشوري الفتاوي العصرية التي تقتضيها روح العصر ولا تنافي اصول الدين وقواعده العامة وان لم ينص عليها الفقهاء لعدم حدوثها في ايامهم . وحكمة طرحها على المجلس هو اقترانها بابرام قرار صادر عن جماعة من الفقهاء المحافظين والمجددين . وهذا من أسرع الخطوات الى التوفيق بين الدين والعمران والمحافظة والتجدد . مع مايضاف الى ذلك من الابتعاد عن الاستبداد بالرأي والانفراد بالفتيا . وحظر على غير المدرسين الموظفين الوعظ في المساجد والجوامع بدون وثيقة من قبل الرياسة في العاصمة ومن قبل المفتي في الملحقات منعاً لفوضى التدريس ودجل الجهال . الى آخر ماهنالك من ضروب الاصلاح والمشاريع المفيدة . وأجزلها فائدة مشروع الكلية الاسلامية في المدرسة السميساطية لو لم يحل دون اتمامه مناهضة أعداء الاصلاح الديني ، ولما رأى الحكومة خذلته بعد ان آزرته بهذا المشروع باديء ذي بدء آثر الاستقالة لولا ان ثبته الحر يصون على نهضة العلوم الدينية وعمران معاهدها .

ولما عقد رئيس العلماء وشيخ الاحرار البيعة بالخلافة لصاحب الجلالة الهاشمية الحسين ابن علي كلفته الحكومة ان ينذر خطباء المساجد بقطع رواتبهم فيما اذا ظلوا مشايرين على الدعاء للسلطان حسين ، فرفض واعتزل منصبه ، فلقبته حينئذ الصحف الحرة بشيبة الحمد ، وملأت ما بين أعمدتها سطور الثناء عليه .

عاد عميد المجددين الى عزلته بعد الغاء وظيفته ، وعكف على مسامرة كتب العلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعبادة ربه معرضاً عن مظاهر الدنيا وعشرة بنيها . لكن المقادير شاءت ان نبرهن على مفاداته في سبيل المصالح العامة حتى في أواخر ايام حياته ، فقد تقلد قبيل مرض موته رياسة مؤتمر الاوقاف الاسلامية اجابة لدعوة منتخبيه الوافدين الى دمشق من انحاء قطر الشام ، مقاوماً عجز الهرم وآلام السقم بقوة عزيمته .

و بالجملة فان فقد الاستاذ البخاري ثلم يصعب سده فانه نادرة بين العلماء الدينيين فلا غرو اذا بكاه العرب والاسلام في بلاد الشام وغير الشام .

دمشق : محمد سعيد الباني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net